الاتحاد العربي للمدارس الخاصة
Arab Private Schools Federation

# حبّ الشّهوات

## رحلة الرّوح بين الفطرة والارتقاء

360 KNO SMART SCHOOLING
ADVANCE THROUGH TECHNOLOGY

unicef

UNESCO
United Nations Educational, Scientific and Cultural Organization

GenEx
Generational Education Exchange

تمكين TAMKEEN

UNIVERSITY OF VICTORIA LONDON - UK

AMIEF
American International Education Federation

**د. خميس بن عبيد العجمي**

رئيس الاتحاد العربي للمدارس الخاصة

رئيس مجلس أمناء مدارس كينو الخاصة بسلطنة عمان

# حبّ الشّهوات: رحلة الرّوح بين الفطرة والارتقاء

خُلق الإنسان في هذا الوجود كائناً مزدوجاً، يحمل في كيانه طيناً من الأرض ونفخة من روح اللّٰه، وفي هذه الثنائيّة تكمن حكمة الخلق وامتحان الحياة، فالإنسان ليس ملاكاً محضاً لا يعرف الرغبة، ولا بهيمة صرفة تتبع كلّ نزوة، فهو كائن مكرّم، وُهب العقل والإرادة ليسمو بغرائزه نحو المعنى الأسمى...

وحين تحدّث القرآن الكريم عن حبّ الشهوات، لم يُدِنْه بإطلاق ولم يُطلقه بلا حدود، إنّما وضعه في سياقه الإنسانيّ العميق، فقد قال اللّٰه تعالى:﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ﴾(آل عمران:14)، فهذا التزيين لم يكن عبثاً، إنّما هو جزء من الحكمة الإلهيّة التي أودعت في الإنسان ميولاً فطريّة لتكون طريقه نحو العمران والاستمرار، ولتكون أيضاً ميداناً لتربية النفس وتهذيبها....

فالشّهوة في أصلها ليست بالخطيئة، إنّما هي طاقة محايدة، كالنّار التي تُدفئ البيوت أو تحرق الغابات وفقاً لاستخدامها، فحين خلق اللّٰه الإنسان، لم يخلقه معيباً ثم يحاسبه على عيبه، بل أودع فيه هذه الرغبات لحِكَم جليلة؛ كاستمرار النوع الإنساني وعمارة الأرض أولاً، فالميل الفطري بين الرجل والمرأة هو الذي يدفع نحو الزّواج والإنجاب، وبناء الأسر التي هي لبنات المجتمعات، وثانياً من منطلق الامتحان والاختيار، فلو كان الإنسان خالياً من الرغبات، لما كان لضبط النفس معنى، ولا للصّبر قيمة، ولا للجهاد ضدّ الهوى فضل، فالفضيلة لا تكون فضيلة إلاّ حين يسبقها إمكان الرذيلة فيُعرض عنها، وثالثاً لتذوّق النعيم، فهذه اللذة المشروعة في إطارها الطّاهر هي نموذج مصغّر وإشارة إلى نعيم أعظم ينتظر الإنسان في الدار الآخرة، فهي تُذكير بأنّ اللّٰه طيّب يحبّ الطيبات، وأنّ الجمال والمتعة من صفات الجنة....

فالمشكلة ليست في وجود الشهوة، إنّما في استعبادها للإنسان، فحين يصبح الإنسان عبداً لرغباته، يفقد حريّته الحقيقيّة، فيظنّ أنّه حرّ لأنّه يفعل ما يشتهي، لكنّه في الحقيقة أسير لما لا يملك التحكّم فيه، فالانحراف يبدأ حين تصبح المرأة مجرّد جسد يُشتهى، لا إنساناً يُكرّم ويُحترم، ويُختزل الحبّ في اللذة الجسديّة، وتُنسى الشّراكة الروحيّة والإنسانيّة، وتُطلب الشهوة خارج إطارها الشرعي والإنسانيّ، فتتحوّل إلى هدم للذات والمجتمع، وتُستهلك الطاقة النفسيّة والوقت في مطاردة اللذّة العابرة، بدلاً من بناء المعنى النقيّ الباقي...

فأعظم انحراف في فهم العلاقة بين الرجل والمرأة هو اختزالها في البعد الجسديّ، فالمرأة في المنظور الإيماني الحقيقي هي أكبر من ذلك بكثير وأكثر عمقاً، فهي شريكة في العبودية للّٰه: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾ (التوبة: 71)، وهي كالرّجل مكلّفة ومحاسبة، وهي السكن والمودّة التي تمنح علاقتها مع زوجها بعداً أعمق من مجرّد اللذّة الجسدية:﴿وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾ (الروم: 21)، وهي سكينة الروح، ودفيئة القلب، وألفة النفس، وهي شريكة في العمران وتربية الأجيال وبناء البيوت، ورقي المجتمع، فهي ليست تابعاً ولا متبوعاً، إنّما شريكة متكاملة....

فالسؤال المركزيّ: كيف نتعامل مع هذه الشّهوة المودعة فينا؟

والجواب يكمن هنا في خطوات التّعامل السليم الصحيح، وأولى تلك الخطوات؛

الصّدق مع النفس، فالإنكار والكبت ليسا حلاً؛ بل قد يؤدّيان إلى انفجارات نفسية أخطر، فعلينا أنْ نعترف بوجود هذا الميل، دون جعله سيّداً علينا..

وثاني الخطوات التهذيب بالعبادة، فالصلاة والصيام وقراءة القرآن ليست طقوساً جامدة، إنّما هي تدريبات روحيّة تُعيد توازن الإنسان، فالصيام مثلاً يُعلّم النفس أنْ تقول "لا" للرغبة المشروعة من طعام في وقتها، فكيف بالرغبة المحرمة؟

وثالثها غضّ البصر، فالبصر بوّابة القلب، وما يدخل من العين يستقرّ في القلب ويتحوّل إلى فكرة، ثم رغبة، ثم فعل، وغضّ البصر ليس حرماناً، إنّما هو حماية للقلب من التشتّت، وللنّفس من القلق....



ARAB-PSF.COM

ورابعها الزواج، فهو القناة الطبيعية لتصريف هذه الطاقة بطريقة تبني ولا تهدم، تُقدّس ولا تُدنّس، وعلى المجتمع أنْ يُيسّر الزّواج ويُزيل العوائق المادية والاجتماعية المبالغ فيها....

وخامسها الانشغال بالمعنى، فالنفس إذا لم تشغلها بالحقّ شغلتك بالباطل، ومن ملأ حياته بمعنى حقيقي كعلم ينفع، أو عمل صالح، إو إبداع يُفيد، أو علاقات إنسانيّة عميقة، قلّ انشغاله بالشهوات العابرة....

وسادسها التربية القيميّة، ففي زمن أصبحت فيه الشّهوة صناعة تُحرّكها مليارات الدولارات، وأصبح الإنسان مستهدَفاً من كلّ جهة بما يثير غرائزه، تظهر قيمة التربية القيميّة؛ ففيها العفّة التي تعكس القدرة على ضبط النّفس، وهنا تظهر أعظم مظاهر القوة الإنسانيّة، فالعفيف هو من يملك نفسه، أمّا المنساق وراء كلّ شهوة فهو مملوك لها، وفيها الاحترام، الذي يظهر بالنّظر لكلّ إنسان – رجلاً كان أم امرأة – على أنّه كائن مُكرّم، له روح وعقل وكرامة، لا مجرّد جسد يُستهلك، وفيها المسؤوليّة، فكلّ علاقة إنسانيّة تحمل مسؤوليّة، والإسلام بتشريعه للزّواج وضع إطاراً واضحاً للمسؤوليّة، وحمايةً للطرفين وللأطفال المحتملين، وفيها الصّبر والإرادة، بتربية النفس على تأخير الإشباع وتحمّل المشقّة في سبيل هدف أسمى....



ARAB-PSF.COM

وبعد،

فالحريّة الحقيقيّة ليست في إطلاق العنان لكلّ رغبة، بل في اختيار وتقديم ما ينفع على ما يضرّ، فالإنسان الحرّ حقاً هو من يملك زمام نفسه، لا من تملكه نفسه... وحبّ الشهوات ليس جريمة، بل هو طبيعة بشريّة، ولكنّ الجريمة هي أنْ نُسلّم قيادنا له فنصبح عبيداً، والإيمان الحقّ يُعلّمنا أنْ نعيش بتوازن:

فلا نُنكر فطرتنا البشريّة، ولا نُغرق أرواحنا فيها فننسى رسالتنا الروحيّة...

ففي هذا التّوازن، تصبح الشّهوة المهذّبة طاقة للبناء، والرغبة المنضبطة قوّة للعمران، والعلاقة بين الرّجل والمرأة شراكة مقدّسة تعكس جمال الخلق وحكمة الخالق، لذا فقد استوجب التّوجّه نحو ترقية الرغبة وتهذيبها وتوجيهها نحو ما يرضي اللّٰه ويبني الإنسان ويُعمّر الأرض، وهنا تتجلّى الإنسانيّة الكاملة في ...

جسد له حقوق، وروح لها مطالب، وعقل يحكم بينهما، وقلب يسكن في ظلّ الإيمان.....